تفسير ابن كثير

قال الإمام أحمد : حدثنا علي بن هاشم عن حميد عن أنس Bه قال : استشار النبي صلى ا عليه وسلّم الناس في الأسارى يوم بدر فقال [إن ا قد أمكنكم منهم] فقام عمر بن الخطاب فقال : يا رسول ا اضرب أعناقهم فأعرض عنه النبي صلى ا عليه وسلّم ثم عاد رسول ا صلى ا عليه وسلّم فقال : [يا أيها الناس إن ا قد أمكنكم منهم وإنما هم إخوانكم بالأمس] فقام عمر فقال : يا رسول ا اضرب أعناقهم فأعرض عنه النبي صلى ا عليه وسلّم ثم عاد النبي صلى ا عليه وسلّم فقال : للناس مثل ذلك فقام أبو بكر الصديق Bه فقال : يا رسول ا نرى أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء قال فذهب عن وجه رسول ا صلى ا عليه وسلّم ما كان فيه من الغم فعفا عنهم وقبل منهم الفداء قال وأنزل ا D { لولا كتاب من ا سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم } وقد سبق في أول السورة حديث ابن عباس في صحيح مسلم بنحو ذلك وقال الأعمش : عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد ا قال : لما كان يوم بدر قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [ما تقولون في هؤلاء الأسارى ؟ فقال أبو بكر : يا رسول ا قومك وأهلك استبقهم واستتبهم لعل ا أن يتوب عليهم وقال عمر يا رسول ا كذبوك وأخرجوك فقدمهم فاضرب أعناقهم وقال عبد ا بن رواحة : يا رسول ا أنت في واد كثير الحطب أضرم الوادي عليهم نارا ثم ألقهم فيه قال فسكت رسول ا صلى ا عليه وسلّم فلم يرد عليهم شيئا ثم قام فدخل فقال ناس : يأخذ بقول أبي بكر وقال ناس : يأخذ بقول عمر وقال ناس : يأخذ بقول عبد ا بن رواحة .

ثم خرج عليهم رسول ا صلى ا عليه وسلّم فقال : إن ا ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وإن ا ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم عليه السلام قال { فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم } وإن مثلك يا أبا بكر كمثل عيسى عليه السلام قال { إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم } وإن مثلك يا عمر كمثل موسى عليه السلام قال { ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم } وإن مثلك يا عمر كمثل نوح عليه السلام قال { رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا } أنتم عالة فلا ينفكن أحد منهم إلا بفداء أو ضربة عنق قال ابن مسعود : قلت : يا رسول ا إلا سهيل بن بيضاء فإنه يذكر الإسلام فسكت رسول ا صلى ا عليه وسلّم فما رأيتني في يوم أخوف من أن تقع علي حجارة من السماء مني في ذلك اليوم حتى قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : إلا سهيل بن بيضاء فأنزل ا D { ما كان لنبي أن يكون له أسرى }] إلى آخر الاية رواه الإمام أحمد والترمذي من

حديث أبي معاوية عن الأعمش به والحاكم في مستدركه وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه عن عبد ا بن عمر وأبي هريرة Bهما عن النبي صلى ا عليه وسلّم نحوه وفي الباب عن أبي أيوب الأنصاري وروى ابن مردويه أيضا واللفظ له والحاكم في مستدركه من حديث عبيد ا بن موسى حدثنا إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عمر قال : لما أسر الأسارى يوم بدر أسر العباس فيمن أسر أسره رجل من الأنصار قال وقد أوعدته الأنصار أن يقتلوه فبلغ ذلك النبي صلى ا عليه وسلّم فقال رسول ا صلى ا عليه وسلّم [إني لم أنم الليلة من أجل عمي العباس وقد زعمت الأنصار أنهم قاتلوه] فقال له عمر أفآتهم ؟ فقال [نعم] فأتى عمر الأنصار فقال لهم : أرسلوا العباس فقالوا : لا وا لا نرسله فقال لهم عمر : فإن كان لرسول ا A رضى ؟ قالوا فإن كان لرسول ا A رضى فخذه فأخذه عمر فلما صار في يده قال له : يا عباس أسلم فو ا لأن تسلم أحب إلي من أن يسلم الخطاب وما ذاك إلا لما رأيت رسول ا A يعجبه إسلامك قال واستشار رسول ا A أبا بكر فيهم فقال أبو بكر عشيرتك فأرسلهم فاستشار عمر فقال : اقتلهم ففاداهم رسول ا A فأنزل ا { ما كان لنبي أن يكون له أسرى } الاية قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وقال سفيان الثوري عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عبيدة عن علي Bه قال : جاء جبريل إلى النبي A يوم بدر فقال : خير أصحابك في الأسارى إن شاءوا الفداء وإن شاءوا القتل على أن يقتل عاما مقبلا منهم مثلهم قالوا : الفداء ويقتل منا رواه الترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه من حديث الثوري به وهذا حديث غريب جدا وقال ابن عون عن عبيدة عن علي قال : قال رسول ا A في أسارى يوم بدر : [إن شئتم قتلتموهم وإن شئتم فاديتموهم واستمتعتم بالفداء واستشهد منكم بعدتهم] قال فكان آخر السبعين ثابت بن قيس قتل يوم اليمامة Bه ومنهم من روى هذا الحديث عن عبيدة مرسلا فا أعلم وقال محمد بن إسحاق عن ابن أبي نجيح عن عطاء عن ابن عباس : { ما كان لنبي أن يكون له أسرى } فقرأ حتى بلغ عذاب عظيم قال غنائم بدر قبل أن يحلها لهم يقول : لولا أني لا أعذب من عصاني حتى أتقدم إليه لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم وكذا روى ابن أبي نجيح : عن مجاهد وقال الأعمش : سبق منه أن لا يعذب أحدا شهد بدرا وروي نحوه عن سعد بن أبي وقاص وسعيد بن جبير وعطاء وقال شعبة عن أبي هاشم عن مجاهد { لولا كتاب من ا سبق } أي لهم بالمغفرة ونحوه عن سفيان الثوري C وقال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس في قوله { لولا كتاب من ا سبق } يعني في أم الكتاب الأول أن المغانم والأسارى حلال لكم { لمسكم فيما أخذتم } من الأسارى { عذاب عظيم } قال ا تعالى : { فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا } الاية وكذا روى العوفي عن ابن عباس وروي مثله عن أبي هريرة وابن مسعود وسعيد بن جبير وعطاء والحسن البصري وقتادة والأعمش أيضا أن المراد { لولا كتاب من ا سبق } لهذه الأمة بإحلال الغنائم وهو اختيار ابن

جرير C .

ويستشهد لهذا القول بما أخرجاه في الصحيحين عن جابر بن عبد ا B ه قال : قال رسول ا A : [أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة] وقال الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة B ه قال : قال رسول ا A : [لم تحل الغنائم لسود الرؤوس غيرنا] ولهذا قال تعالى : { فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا } الاية فعند ذلك أخذوا من الأسارى الفداء وقد روى الإمام أبو داود في سننه : حدثنا عبد الرحمن بن المبارك العبسي حدثنا سفيان بن حبيب حدثنا شعبة عن أبي العنبس عن أبي الشعثاء عن ابن عباس أن رسول ا A جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدر أربعمائة وقد استمر الحكم في الأسرى عند جمهور العلماء أن الإمام مخير فيهم إن شاء قتل كما فعل ببني قريظة وإن شاء فادى بمال كما فعل بأسرى بدر أو بمن أسر من المسلمين كما فعل رسول ا A في تلك الجارية وابنتها اللتين كانتا في سبي سلمة بن الأكوع حيث ردهما وأخذ في مقابلتهما من المسلمين الذين كانوا عند المشركين وإن شاء استرق من أسر هذا مذهب الإمام الشافعي وطائفة من العلماء وفي المسألة خلاف آخر بين الأئمة مقرر في موضعه من كتب الفقه